ثلاثة ألحان مصرية

نثر

حامد طاهر - محمد حماسة عبد اللطيف - أحمد درويش

تقديم : الدكتور أحمد هيكل

٢٩٠

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢٩٢

كتابات جديدة

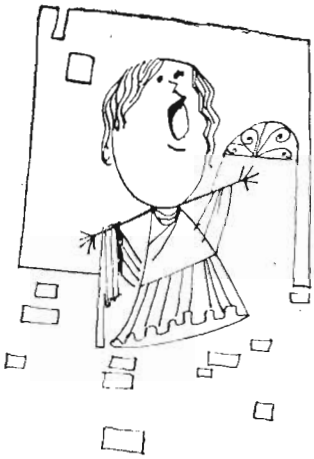

ثلاثة ألحان مصرية

شعر

حامد طاهر
محمد حماسة عبد اللطيف
أحمد درويش

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٩٧١

مقدمة

بقلم : الدكتور أحمد هيكل

هذه مجموعة من الشعر تضم قصائد لثلاثة من شعراء الشباب ، وقد آثروا أن ينشروها فى كتاب واحد لتؤكد ما بين ذواتهم من وشائج الزمالة وروابط الصداقة واتحاد المشرب ؛ ثم لتعلن ما بين نتاجهم من تشابه النزعة وتقارب الوجهة وتداخل السمات .. هذا مع محاولة جادة للاحتفاظ لكل طائفة — من طوائف الشعر الثلاث التى تضمها المجموعة — بملامح شخصية وأصالة ذاتية ، تجعل منها عملا فنياً عليه بصمات صاحبه وفيه نبض قلبه وعبق روحه ..

ومن هنا طاب لأصحاب هذه المجموعة الثلاثة أن يسموا ديوانهم باسم « ثلاثة ألحان مصرية » لأنه يتألف من ثلاث طوائف من القصائد ، كل طائفة لها نغمها وإيقاعها الذى يجعل منها لحناً يوشك أن يكون متميزاً ؛ وجميعها تشكل عملا فنياً واحداً ، قصد أصحابه أن تتآزر خلاله هذه الألحان الثلاثة ..

والحق أن أصحاب هذا الديوان قد وفقوا إلى درجة كبيرة فيما قصدوا إليه ؛ وذلك أن بين ذواتهم من التشابه ما من شأنه أن يشكل تضاريس شعرهم تشكيلا متشابهاً ، ثم ما يوجه نتاجهم وجهة متقاربة . فهم أبناء جيل واحد وثقافة واحدة وعمل واحد ؛ كل ذلك إلى صداقة تصل إلى ما يشبه الأخوة ، حتى ليتعذر على من يعايشهم أن يلتقى بواحد منهم دون الآخرين ، وحتى أن أسماءهم تختلط على البعض ، فيطلق اسم أحدهم على آخر ؛ وليس ذلك عن جهل أو إنكار ذات ، وإنما عن لبس له من المسوغات ما يعذر معه المتورط فيه !!

وهذه الصداقة المشبهة للأخوة قد نشأت — بالإضافة إلى العوامل السابقة — عن تقارب الطباع وتشابه النزعات وتماثل الاتجاه وهذا كله جعل لنتاجهم الشعرى ملامح متشابهة فى المضمون وفى الشكل على السواء .

فثلاثتهم يتحركون فى دوائر الموضوعات العاطفية والقومية والإنسانية ، مع اختلاف فى النسبة من واحد إلى آخر .

وثلاثتهم يؤثرون الأسلوب الابتداعى الغنائى (الرومانسى) مع محاولة مخلصة للتعبير بالصورة الشعرية ، وتحقيق الوحدة الفنية الممكنة .

وثلاثتهم يهتمون باستخدام عناصر قصصية أحياناً ، وقد يلجأون إلى إجراء حوار فى بعض الأحايين .

وثلاثتهم يركزون تركيزاً واضحاً على الموسيقى الشعرية المناسبة ، التى لا تصل فى ارتفاع نبرها إلى حد الجلبة ، ولا تصل فى هبوط إيقاعها إلى درجة الخفوت . ولكنها تشكل فى شعرهم جميعاً بعداً رئيسياً واضحاً ، وتبدو كخيط بارز فى نسيج عملهم الفنى .

وثلاثتهم يؤثرون معجماً شعرياً يوشك أن يكون واحداً ، وهو المعجم الذى يمزج بين الألفاظ والتعابير التى شاعت بين الابتداعيين (الرومانسيين) والألفاظ والتعابير التى بدأت تشيع بين الواقعيين . هذا مع تركيز واضح على بعض التعابير ذات الظلال الشعبية الموحية ، مثل «ياليل» و«يا ما حدث كذا» . ونحو ذلك .

ولا يمكن أن نغفل هنا ملاحظة جديرة بالتسجيل ، وهى أن شعر هؤلاء الثلاثة لا يعرف الانغلاق داخل سجون الإلغاز ، ولا التخبط فى ظلمات الانبهام ، كما يحدث لكثير من نتاج شعراء الشباب اليوم .. وإنما هو شعر يتجه إلى المتلقى مسفراً فى غير تعرٍّ ، واضحاً فى غير مباشرة ؛ لأن الأضواء التى تحوطه أضواء غير باهرة ولا مرهقة ؛ فهى أشبه شىء بضوء القمر !!

وإذا كانت هذه السمات تجمع شعر الشعراء الثلاثة نظراً لتشابه ظروف عديدة حددت تضاريس شعرهم جميعاً وقاربت بين وجهاته وأوشكت أن توحد غايته ؛ فهناك — كما قلنا — ملامح ذاتية لشعر كل من هؤلاء الشعراء ، تميز لحنه — إلى حد ما — من لحن صاحبيه . وقد اكتسب شعر كل واحد منهم سماته الخاصة — على قلتها من أصالة الشاعر وتفرده واختلاف ذاته عن الذوات الأخرى ، مهما كان بينه وبين صاحبيه من تشابه ..

فالشاعر حامد طاهر يبرز فى قصائده الموضوع الإنسانى ، مثل هذا الذى نجده فى قصيدته التى تعالج تجربة غانية أحست فجأة بالفجيعة فى شبابها الذاوى ؛ فارتجفت حين شعرت بزحف الشيخوخة الطاحنة ، التى تمثلت خطاها البشعة على وجه الغانية فى شكل « تجاعيد » ومثل هذا الذى نقرأه فى تلك القصيدة التى تعبر عن تجربة اكتشاف الحقيقة المرة ، وراء خداع النفس ، وبرغم التحايل على الضمير ؛ حيث يردد كل شوق أمام تعرى حقيقة « الخطأ » .. ومثل هذا الموضوع الإنسانى الذى نراه فى قصيدة حامد طاهر التى تصور الإحساس بمأساة مواطن الذكريات ، حين يعدو عليها الزمن ، فيجتثها ويطعمها للنار ، كما حدث « لشجرة التوت » ..

وحامد طاهر يعبر غالباً عن موضوعاته التى يبرز بينها الموضوع

الإنسانى بطريقة تصويرية ، تأخذ طابع المشاهد المتلاحقة المترابطة ، التى تؤلف ، فى كثير من الأحيان لوحة حية فيها الناس والأشياء ، والحركات والألوان ، والحديث والأصوات .. فهو يقول مثلا فى قصيدة « الترحيلة » مصوراً حال هؤلاء العمال الكادحين :

الحباه السمراء فى وهج الشمس ، ونبض السواعد المعروقه
والفئوس التى ترن على الصخر ، وأكتاف صبية مشقوقه
ورنين الموال إعوال ريح فى صدور عريانة محروقه
مد فيها الخريف أغصانه الجوف ، وبحُت أنفاسها المخنوقه
فى سبيل الرغيف والظل عاشت رحلة الجدب والهجير مسوقه

ويقول أيضاً فى قصيدة « البقايا » مصوراً مسيرة محب ذات ليلة مقرورة ، وهو شارد مع ذكرياته الحزينة :

المصابيح فى الطريق الطويلة والخطى تنقر المساء عليله
ورذاذ الأمطار يعلق بالمعطف ، والريح قبضة مجهوله
وتلفتّ ، ما هناك سوى النيل ، وذكراك .. والظلال النحيله

ثم يقول كذلك فى « قصيدة « أصل وصورة » التى تعبر عن الفراغ والوحدة واللهفة :

الليل والشتاء والسيجارة المحترقه
ولم تزل غرفته على الرماد مغلقـــه

تناثرت فى أرضها الكتيبات مطرقه
وألف صورة على جدرانها معلقه
ترشقه عيونها الساهرة المحدقه
تشده صدورها العارية المنطلقه
يكاد همس دفئها الرهيب أن يخترقه
وهوّمت عيناه .. لعنة الفراغ مطبقه
الصمت والجليد والوسادة المؤرقه

وحامد طاهر — بعد ذلك — يؤثر الشكل الموسيقى الملتزم لوحدة الوزن واطراد القافية أو تنوعها فى فقرات متساوية ، على الطريقة التى اشتهر بها الشعراء التجديديون والابتداعيون فى عصرنا الحديث ، من أمثال على محمود طه وإبراهيم ناجى .. وهو لم يقدم لنا أى نموذج من الشعر الحر ، مخالفاً فى ذلك صاحبيه اللذين قدما بعض نماذج هذا الشعر ..

أما الشاعر محمد حماسة عبد اللطيف فيبرز من بين موضوعاته الموضوع العاطفى ، مثل الذى نجده فى قصيدة « السيف الآخر » التى يصور فيها تجربة اكتشاف خداع الحبيبة ، وبرود كل كلمات الحب حيالها ، ولذا فالمحب يدخر كلماته الحية لحبيبة بريئة مرتقبة .. ومثل الذى نراه فى قصيدة « رسالة عتاب صغيرة » التى يعبر فيها

الشاعر عن تجربة عتاب حار صادق ، يسبح فى جو وجدانى شفاف .. ثم مثل الذى نقرأه فى قصيدة « أين الكلمة » التى تمثل معادلا موضوعياً لتجربة الإحساس بعجز الكلمات أمام المحبوب ،

ومحمد حماسة يصوغ تجاربه — التى يبرز من بينها الجانب العاطفى — بأسلوب تغلب عليه طريقة النجوى (المنلوج) ؛ فهو فى أغلب قصائده يوجه الحديث إلى طرف ثان أو يناجيه بما يحاول أن يعبر عنه من عاطفة .. فهو مثلا ، يقول فى قصيدة « السيف الآخر » :

هذى الكلمات . .

« إنى أهواكِ .. أحبك
أتمنى أن يعرف حبي قلبُك
أستشعر دفء الكلمة فى شفتيك
وتهيم أمانيّ وأحلامى فى عينيك
ترتاد ظلالا خضراء فتغفو فى جفنيك »
كلمات فقدت معناها
لم يبق بها غير حروف ترتعش من البرد القارس
تتدثر فى أثواب خداع .. تنسجها عيناك الكاذبتان
كم مزقها سيف الفارس !

ويقول أيضاً فى قصيدة « رسالة عتاب صغيرة » :

إليك يا حبيبتى رسالة حروفها رقيقة العتاب
تخطها إليك من مشاعرى ومن دمى أصابع العذاب
طيفك يا حبيبتى فى خاطرى يفتح للحنين ألف باب
فكلما نظرت فى الكتاب تقفزين بين أسطر الكتاب
تعانقين ناظرىّ .. تشردين بى .. وتهربين للسحاب

ثم يقول فى قصيدة « أين الكلمة » :

العين أمام العين
والكلمة خجلى فى الشفتين
الكلمة يا دنياى بصدرى تتكىء على حرفين
مسنونين
بينهما قلبى عصفور مذبوح يتألم
عيناك تقولان تكلم
أو ما تدرين بأن مداد الكلمة دمّ ؟!
يا دنياى ..
قلبى محبرة الكلمات
لكن .. من لى بقلم ؟!
مهلا .. مهلا

فى عينيك عتاب أخضر : يا مجنون تكلم
أو ليس لديك سوى النظرات ؟ !
وأنا بالكلمة أحلم !!

ومحمد حماسة فى إيثاره لطريقة النجوى يسير على كثير من تقاليد أصحاب الشعر الحر ، فى استخدام ألفاظ معجمهم ، ورسم صور من مرسمهم ، وتضمين رموز ترجع إلى تراثهم.. فهناك « الفارس » و « السيف » ، وهناك « الأحرف » و « الكلمة » ، وهناك « الرحلة » و « العصفور » و « اللون الأخضر » وما إلى ذلك مما يتردد كثيراً فى نتاج أصحاب الشعر الحر ..

لكن محمد حماسة يميل — إلى جانب ذلك — إلى ما يوشك أن يميزه من بين الآخرين المعروفين بتلك التقاليد . وذلك أنه يجنح إلى ذكر الأشياء البسيطة وتسميتها بما تسمى به فى الحياة وفى لغة التعامل اليومى. وهو يميل إلى ذلك عن وعى وفنية ؛ إذ يذكر هذه الأشياء فى مقام الإيحاء وخلق الجو الواقعى الذى يعمق الإحساس بالموقف .. ومن ذلك قوله فى قصيدة « ربما يرجع يوماً » التى يصور فيها مشاعر خطيبة تخلى عنها خاطبها فى ساعة غضب ، فعاشت على أمل عودته :

« رُبّما يرجع يوماً .. رُبّما » واختفت فى دمعها المنسكب

يقطر « المنديل » فى راحتهـــا قلبها ياكم به من لهـــب
أشعلته كلمة جامحـــــــــة قالها فارسها فى غضـــب
« لست لى » وارتعشت فى يده « دبلة » قيد صغير ذهبي ..
طوحته كفه محنقـــــــــة آه .. ياكف الخريف المجدب
رنت « الدبلة » فى الأرض .. فما رجّعت غير صدى مكتئب
لم يزل يهتف فى مسمعهـــــا « كل هذا كذب فى كذب »

وهذا الشاعر يراوح بين استخدام الشكل الموسيقى الملتزم لوحدة الوزن واطراد القافية أو تنوعها فى فقرات متساوية ، وبين استخدام الشكل الحر الذى يعتمد على وحدة التفعيلة ويترك القافية تتردد بين الحين والحين دون تساوى فقرات أو تقابل أجزاء أو أى نوع من الالتزام .

وأما الشاعر أحمد درويش فيبرز من بين موضوعاته الموضوع القومى ؛ فهو يكثر من التعبير عن تجارب قد أوحت بها أحداث قومية وشئون محلية ؛ مما يجعل التجربة أقرب إلى الواقع الحى المعيش ، ويسلك صاحبها فى عداد الشعراء المتفتحين على ما يدور حولهم ، والمعبرين عن واقع أمتهم ، والمشاركين بشعرهم فى حداء مسيرة قومهم !! ومن أمثلة قصائد أحمد درويش التى تعبر عن تجربة قومية قصيدة « وا أسفا على الذين رحلوا » التى تصور الإحساس بمأجره الإقطاع على مصر — قبل الثورة — من مآس ..

ومن أمثلة الشعر ذى الطابع القومى أيضاً عند أحمد درويش ، قصيدة « حتى تولد الشمس » التى تعبر عن تجربة الانفعال بالتضحية الكبيرة فى سبيل بناء السد العالى .. ومن أمثلة هذا الشعر أيضاً قصيدة « أغنية الرحيل » التى تعكس تجربة استشعار الألم المختلط بالأمل ، بسبب فراق الأرض إلى الأبد ، نتيجة للتهجير الذى كان ضرورة من ضرورات إنشاء السد العالى .

والمعجب فى شعر أحمد درويش أنه برغم غلبة الجانب القومى — الذى قد يرتبط بعناصر سياسية أو اقتصادية — فإنه لا يصاب بخطابية السياسة المجلجلة ، ولا برياضية الاقتصاد المباشرة . بل على العكس من ذلك يأتى فى أغلب الأحيان شعراً مكتمل العناصر الفنية ..فهو شعر مفعم بالحس الصادق والروح الإنسانى والتعبير الرفاف والتصوير الحى . وهو مستخدم لوسائل تعبيرية جديدة تقارب بينه وبين التأليف القصصى حيناً ، وتشده إلى المشهد المسرحى حيناً آخر ، ثم ترتفع به إلى مستوى الشعر الجيد فى كثير من الأحايين ..

وأبرز وسائل أحمد درويش الفنية وسيلة رسم الجو وخلق المناخ الملائم للمضمون ، وذلك باستخدام الرموز الموحية والإشارات الدالة ، وبتحقيق المشاركة بين الأحياء والأشياء . وهذا شبيه بما يصنعه المخرج المسرحى الواعى ، حين يحيط الحدث أو الشخصية

بما يلائم من رسم ولون وصوت ، مما يكمل المشهد المسرحى ويخلق فيه الوحدة الفنية ..

فى قصيدة « موعد العاشق الأشل » ، حيث الحديث عن محب فقد القدرة على الحركة بسبب شلل أصابه ، فتجمد فى فراشه تمزقه مشاعر متضاربة ، فى مقدمتها رفض الشفقة عليه والرثاء لحاله — فى هذه القصيدة يجعل الشاعر كل شىء وكأنه أصيب كالبطل بالشلل ، فيقول :

الليل عاد .. معول الصمت الذى يهدم فى جنبىّ لا يرحمنى
فليلة الموعد جاءت لم تجد غير جريح فى إهابى مثخـــن
غير بقايا مقعد .. وحفنة من الدمـــوع لم تزل فى أعينى
وحجرة جف على حيطانها عتابى المر لهذا الزمـــــن
المقعد الحزين .. والأريكة الملقاة فى حضن الجدار الخشن
ســـتارة قد صلبت أطرافها ، شلت على شباكنـــا ترمقنى
وباقة من الزهور غاضت ابتســـامة من وردهـــا الملـــون
وقصة قرأت من كلامهـــــا سطرين جامدين ، لم أفتن !!

ومن أبرز وسائل أحمد درويش الفنية اتخاذ شكل الحكاية الصغيرة الساذجة (الحدوته) إطاراً لبعض تجاربه ، أو جزءاً رئيسياً تحتويه بعض قصائده — وقد يتخال هذه الحكاية شكل

آخر من أشكال التعبير كالرسالة .. ومن ذلك قصيدة « حتى تولد الشمس » ، حيث يمجد بطولة بناة السد التى تصل أحياناً إلى درجة الاستشهاد ، فيقول الشاعر فى القصيدة على لسان أم بطل من ذوى السواعد السمراء :

صغيرتى .. كان يهوى أبوك هذا الترابـــــا
وكان كالنخـــل طولا وكالربيع شبابـــــا
وفى الصلابـــة فأسا ، وفى النقـــاء سحابا
وكانت الكف مرعى ، وجدولا منسابـــــا

***

وذات يوم ضحوك الصباح غض النســـيم
فى موكب من شباب الشمـــــوس ضخم وسيم
مضى أبوك وغاب القطار خلف الغيـــــوم
منديله .. كلمات الوداع .. ومض نجـــــوم

***

وجاء منـــه كتاب .. وكنت أنت جنينا
سطوره ما تزال السطـــور تروى حنينـــا
أمى . . سلام وشوق للأرض قمحا وطينـــا
وللربوع اللواتى تضم سرا دفينـــــا

أمى . هنا فى كتاب الوجـــــود تصنـع شيا
الصخر قُدّ طريقا ، وكان قبـــل عصيـــا
والنهر .. ماعاد هذا الجموح صلبا عتيـــــــا
غداً نحول هـــذا العتوّ خبزا وريـــــا .

***

صـــغيرتى كان هـــذا الكتـــاب آخر عهـــــد
وبعـــد ســـبع ليـــال أضاءها شمـــع سهد
قالوا فتـــاك احتوته الصخور ضمـــة لحد !!
وراح أولّ غـــاز شهيـــــد مجـــد وســـد !!

ومن أهم وسائل احمد درويش الفنية — بعد ذلك — تأليف الصور الكلية المكونة من مجموعة صور جزئية ، قد تتوازى ولا تتتابع ، وقد تتقابل ولا تتلاحم ، وقد تتجاور ولا تتعاطف ؛ ولكنها آخر الأمر تشكل ما يشبه الشريط ذا اللقطات المتباعدة فى الظاهر ، والمتقاربة فى الحقيقة ؛ لأنها جميعاً — وإن كانت واحدة من هنا وأخرى من هناك — تؤلف تعبيراً عن إحساس معين ، وتهدف إلى تعميق إحساس الآخرين به .

ومن أمثلة هذا اللون من الصور ، قول احمد درويش فى قصيدة

« أغنية الرحيل » التى ترسم مشهد من فارقوا أرضهم إلى الأبد لكى تغرقها مياه السد :

رخاوة النسيم .. والمساء .. بسمة القمر
ورفقة على وجوههم ملامح السفـــر
أمتعة الرحيل . والوداع .. موكب يمر
يعبر دربه العتيق نحو شاطئ النهـــــر
وربما فى بعض أعين تراقص الدموع
فموكب الرحيل لن يعود بعد للربوع

وأخيراً ، يلاحظ على هذه القصائد المختارة من شعر احمد درويش ، أنه يراوح بين الشكلين : الملتزم والحر ، وإن غلب على مختاراته الشكل الملتزم ، الذى يغلب عليه لون الفقرات ، الذى يساوى بين الفقرات أحياناً ويضيف قفلاً من فقرات أقل تختم به كل فقرة أحياناً أخرى ، كما فى القصيدة السابقة .

على أن شعر درويش — فى جملته — يتجه وجهة أصحاب الشعر الحر فى كثير من طرائق التعبير ، حتى ولو لم تأخذ قصيدته شكل الشعر الحر فى موسيقاها .. ولعل الجزء التالى من قصيدة أغنية الرحيل يؤكد هذه الملاحظة . يقول درويش على لسان أحد الراحلين عن أرضهم :

والعرس .. ياما شهد الأعراس وادينا النضير
الشاعر النوبى .. والأرغول .. والدف الكبير
مغامرات السندباد فى جزائر العطـــــور
ورقصات الفتية السمر .. وإشعال البخور

***

حبيبتى .. وكل بقعة هنا فى أرضنـــا
قد شهدت ذات مســـاء بسمات حبنـــا
أعشقها ، أعشق كومة الثرى فى حينـــا
والمعبد القديم ، والنخيل عنـــد المنحنى

والحق أن شخصية درويش تحاول ألا تضل فى زحمة أصحاب الشعر الحر ، برغم اصطناعه الكثير من تعابيرهم و اتكائه على العديد من ركائزهم .

وبعد فقد أكون ملتفتاً أكثر هنا إلى أحسن ما فى شعر هؤلاء الشعراء الثلاثة ، وقد أكون مغضياً عن بعض العثرات هنا أو بعض الهنات هناك . ولكن عذرى أنى أقدم أول عمل لشعراء مجتهدين طامحين مأمولين. وإن ثقتى بهؤلاء الشعراء ومعرفتى بمواهبهم و مثابرتهم تجعلنى على يقين من أنهم مهتدون بأنفسهم — وفى القريب العاجل — إلى تصحيح ما قد يكون من خطأ ، واستكمال ما قد يكون من نقص .. والله الموفق .

د. احمد هيكل

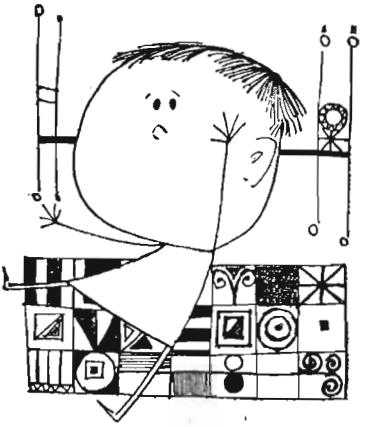

المجموعة الأولى

حامد طاهر

الترحيلة (*)

— ١ —

كل ما يجعل الحياة رقيقة أطفأ الكدح والشقاء بريقه
الحباه السمراء فى وهج الشمس ونبض السواعد المعروقه
والفئوس التى ترن على الصخر .. وأكتاف صبية مشقوقه
ورنين الموال إعوال ريح فى صدور .. عريانة .. محروقه
مدّ فيها الخريف أغصانه الجوف .. وبُحت أنفاسها المخنوقه
فى سبيل الرغيف والظل .. عاشت رحلة الجدب والهجير .. مسوقه
يومها مثل أمسها .. ليس فيه هدأة .. تمسح الجراح العميقه
ليس غير المساء .. يحتضن الجمع .. فتصحو أعماقه مستفيقه
.. يسرد الشيخ عن صباه الحكايات .. بقايا من الفؤاد .. سحيقه
كم تشد الفتيان للنغم الحلو .. وتنساب بالخيال .. طليقه
.. ويجيل العجوز فى الكف طرفا .. والصبايا قلوبهن مشوقه
« ربما تصدق النبوءات يوماً »
« ربما ! » .. كلمة تلوح رقيقه

(*) فازت هذه القصيدة بجائزة الشعر الثالثة فى المجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦٥ وبالجائزة الأولى فى مسابقة جامعة القاهرة للشعر سنة ١٩٦٦ .

ومن الجمع .. قد يهامس «قيس» قلب «ليلاه».. نسمة ، وحديقه
غير أن الغرام يطرق خوفا من عيونٍ فى روضه .. مرشوقه
ليس ينسى الجميع قصة «أشواق» .. عواءً ولعنة وحقيقه
المصير الذى ترامت إليه .. كيف بالله للرؤى .. أن تطيقه
« جثة للكلاب »

« لا تقربوها »

« اغسلوا الفأس من دم الزنديقه »
« وابحثوا عن رفيقها .. أين ولى .. مزقوا صدره .. وشدوا عروقه »
فتشوا الأفق يومها .. ثم قالوا : «شق للبندر البعيد .. طريقه»

— ٢ —

هكذا يعبر المساء .. حزينا ويداه على القلوب الحزينه
مثلما كان منذ خمسين قرنا ورعايا فرعون خلف المدينه
يرفعون الأهرام فى جبهة النيل .. شموخا .. وعزة .. ورعونه
فاذا أقبل المساء عليهم .. فتحوا صدرهم ، وبثوا شجونه

***

وتدور الأيام .. والركب ماضٍ .. لا وقوف .. لا لفتة .. لاسكينه
خطوات .. من الأسى .. مثقلات .. وأحاسيسٌ فى الضياع سجينه
وإذا الأفق بالغريب لحيب .. كيف يا قطرة الندى .. يطفئونه

يصرخ السوط فى الظهور . وتطوى قدم النيل أرضهم .. مجنونه
وتُشق القناة !!

والقاع يدرى كم به من جماجم .. مدفونه !
والمياه التى بها قطرات من دم .. أهرق الرجال .. عيونه
وإلى الشط .. ما يزال نشيد يذكر البحر والفضاء .. رنينه
زاحفاً .. كالرياح تجتاح هولاً ، واهناً .. كالمريض يخفى أنينه
وقعوه تحية للليالى .. ومضوا فى طريقهم .. ينشدونه
« يا ضلال الموال فى رحبة الوادى .. متى تهتدى القلوب الطعينه؟! »
« إنها تحمل الحنين إلى الظل ، وتشتم فى الهجر .. غصونه »
« وعلى النار ترقب النيل يجرى وادعاً .. يملأ الصفاء جبينه »
« واخضرار الحقول .. والبيدر الثرّ .. وعرسا مع الحصاد .. وزينه »
« آه يا دمعة تسيل على الخدّ .. وتنساب فى التراب سخينه »
« إن بالمعول القديم .. عطاشا للأمانى .. وصرخة مشحونه »

— ٣ —

طلع الصبح ذات يوم على الركب ..
فحيته فى الوجـــوه ابتسامه
عجباً .. كيف ذوّب الصدأ المعقود ، وافترعن صبأ ووسامه
واختفت من جبينه قسمات .. كن يملأنه أسى وجهامه

ما لموّاله الحزين .. ترامى ضاحك اللحن .. مرسلا أنغامه
وعلى صدره العريض .. رجاء كان بالأمس للقنوط علامه

***

آه يانيل .. إنه جاء يبنى حلم أيامه ، ويرفع هـامه
صاعداً صاعداً يباركه الله .. فينهدّ كل صعب .. أمامه
التلال الصفراء .. والحجر الصوّان .. والموج : ثورة واحتدامه
فإذا ضمه الهجير .. توارى خلف «تعريشة» ، وغنى غرامه
الغد المورق الخصيب ..

وبيتٌ تلقط الحبّ من ثراه .. حمامه

سبتمبر ١٩٦٥

البقـــايا

— ١ —

المصابيح فى الطريق الطويله والخطى .. تنقر المساء عليله
ورذاذ الأمطار يعلق بالمعطف .. والريحُ قبضة .. مجهوله
صفعت وجهَ النحيل وهزّتْ .. أفرعَ السنديانة المخذوله
وتلفتُّ .. ما هناك سوى النيل ، وذكراك ،
والظلال النحيله !
وحكايا من الصبا لا تقولى : «رحم الله أمسيات الطفوله ! »

— ٢ —

البقايا .. تمردت ملء صدرى
حين ألقيتُ هيكلى .. فوق مقعدْ
عايش القصة الكبيرة .. مفتوناً
وكنا نؤمه .. حين نجهدْ
الذراعان .. ضمةٌ من حنان
وحديثٌ عن الهوى .. متجددْ

وتقولين :

« ما أرقّ الليالى

لو مضت هكذا .. »

لقاء ، وموعدْ

طفلةٌ .. كنتِ تعبثين بأشواقى ..

وتلوين جيدها .. إن تمرّدْ !

— ٣ —

كلماتُ الصباح ..

يا لسعة النار . .

وهل أنت قلتها لىَ حقاً ؟ !

« سوف تنسى كما نسيتُ .. »

حروف ..

سحقت خاطرى المعذب سحقا

وتبسمتِ

والدموع بعينىّ تناديك بالهزيمة «رفقا»

ثم خلّفتنى .. أمدّ ذراعا

والهوى مطرق على الأرض .. مُلقى !!

انحنتْ أضلعي وضمتهُ .. شيئاً من كياني قطعتهِ
وسيبقى !!

— ٤ —

طلع الفجر .. من وراء الغمامات .. بطيئا
وسقسقت عصفورهْ ..
في الغصون العجاف ..
وابتدأ الناسُ يدوسون
وحدتي المهجورهْ
وتلفتُّ ..
الرؤى غائماتٌ !!
والبقايا .. هيابةٌ .. مذعورهْ
دفنت في الزحام وجهاً نحيلا
وترامتْ ..
على تراب الظهيره !

مارس ١٩٦٥

البحـــيرة (*)

« إلى صيادى بحيرة المنزلة »
«الذين استشهدوا فى معركة ١٩٥٦ ..»

فى مياه البحـــيرة الرقراقه زورقٌ .. شدّ للمسير نطاقه
مستعيدا من الشباب صبابات ، ومن عزمة الحياة انطلاقه
كل ما فيه .. كومة من شباك .. قاسمته على المدى أرزاقه !
وشراع رَفته من أثر الخرق .. عجوز .. ضريرة .. مشفاقه
لفتاها ..

الذى تفتح كالزهر صباه . . نضارة ، وطلاقه
وغدا يعشق الهروب من الشط ، ويدعو إلى المياه .. رفاقه
ليس يدرى الصبى .. واللهو يجرى فى دماه .. حكايةً ألاّقه
ملء ثغر العجوز .. تنتظر الليل .. فتسرى لروحه التوّاقه
ذكريات .. تضىء فى قلبه الكونَ .. وتروى من الظما أشواقه ..
«إيه .. يا طفلى الحبيب .. وقد صرتَ فتيا .. ولم تعدْ بىَ طاقه »

(*) فازت هذه القصيدة بالجائزة الثالثة للشعر فى مسابقة المجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦٤ ، ونشرت بمجلة « الشعر » أكتوبر ١٩٦٤.

« كاد يومُ الرحيل يقرع بابى وشظاياه تستبيح اختراقه »
« وأرى العمر فوق فوّهة الموت .. يعانى خفوته واحتراقه .. »
« لكَ عندى حكاية .. عشتُ أصْلى بلظاها ، وأرتضى إرهاقه »
فرنا الطفل للعجوز ملياً ثم ألفى دموعها المهراقة
تتهاوى على طراوة خديه .. وتكوى بلذعها أحداقه
وصدى صوتها الرهيب .. يدوّى فى حناياه .. مضرماً أعماقه

***

« ذات يوم .. سمعت يا ولدى الناس .. يسيرون فى خطىّ سباقه .. »
« وضجيجاً يثور من جهة الماء .. ويشتد نافخاً .. أبواقه »
« وأتت جارتى تولول فى الكوخ .. وتُلْقى بنفقةٍ .. خفاقة »
« كنتَ فيها وليد عام .. وصاحت :
مات زوجى .. تعمدوا إغراقه ! ! »
« يالزحف التتار .. يصرخ بالحقد .. وينصب قسرةً ، وحماقة »
« احفظى خالتى الصغير — برفق »
ثم ولت لثأرها منساقة »
« فى جموع تمد للموت كفاً .. وبكف .. تفجر الإشراقة »
« لم تعدْ بعدُ يا صغيرى .. وأنى يلفظ الماءُ من حشاه رفاقه .. »
وتراخت قوى العجوز .. فنامت نومة الروح .. لا تروم إفاقة
وبكاها الصغير .. ياما بكاها بدموع .. سخينة .. دفاقة

كلما زار قبرها .. لم يتدعه .. قبل أن يُدمى الأمى .. آماقه
ويلم الزهور تحت ندى الفجر .. ليُلقى على ثرى القبر .. باقة !

***

ثم دار الزمان .. فانطفأ الحزن .. ونامت شجونه الخفاقة
ومشت بهجة الحياة إلى القلب .. مراحا ، وصبوة ، وطلاقة
وتراءت على البحيرة أفراح .. وغنت شفاهُها المشتاقة

***

إن من يذهب الغداة إليها فسيلقى مياهها الرقراقة
ويرى الزورق العتيق .. قويا يتهادى شراعه فى انطلاقة
وعليه فتى ..
يجدّف فى الماء .. ويُهدى لمن به أشواقه

يناير ١٩٦٤

أصل وصورة

الليـــل . .
والشتاء ..
والسيجارة المحترقه
ولم تزل غرفته .. على الرماد .. مغلقة
تناثرت في أرضها الكتيبات .. مطرقة
وألف صورة على جدرانها .. معلقة
ترشقه عيونها الساحرة .. المحدقة
تشده صدورها العارية .. المنطلقة
يكاد همس دفئها الرهيب .. أن يخترقه
وهوّمت عيناهُ ....
لعنةُ الفراغ مطبقه
الصمت .. والخلود .. والوسادة المؤرقه
تفاهة الأشياء ..
ما أقسى الليالى الضيقة !!
وفتح الشباك ..

مدّ خاطرا .. وأطلقه
ماذا عن الحارة ياليل الرؤى المشوّقة؟؟
حالمة ؟ ..
أم ياترى على السرير .. مرهقة
عارية ؟
أم فى قميصها .. تنام شيقه ؟
قوامها !!
إياك يا غطاء أن تطوقه
ملمسها !!
وجرّدت عيناه .. كل منطقه
تعرّج الفضاء ..
صاح فى السكوت .. أنطقه
وأنّ مذياع بعيد ..
صوتُه .. ما أعمقه !!
رمى على الشباك أشلاء الصدى ..
فأغلقه ..

***

مع الصباح .. قاباوه ..
بادلو د منطقه

وانحدر الحديث للنساء
فادّعى الثقة
وحاول الكلامَ ..
فالتوى الكلام .. مشنقة
وسمع الرفاق بَوْح زفرة .. مختنقة
تهدّلت
وارتعشت
ثم ارتمت .. ممزقة

أبريل ١٩٦٦

الخطأ ...

« مهداة إلى ف. و.. »

تنبئني عيناك .. أن الذى نصنعه .. مهزلةٌ .. محرقهْ
وأن ما فى عمرنا رائع لا تلبث الأيام أن تسحقه
وأننا نخطـــو إلى قمةٍ باردةٍ كالموت .. مستغلقة

***

مسكينة ألفاظنا !! ترتمى عارية .. جائعةً .. مرهقة
فى كل لفظ — كذبةٌ أفسدت إيقاعه ، ورغبةٌ مطـــرقة

***

حتى الذى كنا نظن المنى فيه .. تلاشى سحرُه ، وانطفأ
لما وصلناه ..

وصلنا وقد أدركت الأشواق .. هذا الخطأ !

مايو ١٩٦٧

تجاعيـــد

شهقةُ الريح على شباكها ... ويدُ الليل .. وبعضُ الأنجم
وصدى أغنية .. حائرة ... وفراشٌ باردٌ .. لم ينم
ومواعيد رجال .. هزئت ... ضَلّلت بالمخدع المنهزم !

وتلوّت .. آه ما أرّقهـا ... غير تهويمة طيف هَرِم
كلما لاح لعينيها .. ارتمت ... من رؤاه .. فى فراغ مظلم
وجه شمطاء .. رأتها مرة ... يوم كانت فى طريق الهَرَم !
تسأل الناس، وتستجدى الخطى ... كلمات من فم .. منهدم
أرعشتها .. فانحنت مشفقةً ... «إيه يا خالة .. لاتستسلمى ! »

ورمت فى كفها ما تجمعت ... من طريق .. وثنّى القمم
يومها رنّ دعاء .. دفئُه ... لم يزل فى صدرها المحتدم
واذسبى ..
لاضمك الشيب ... ولاعشتِ يوما .. لحظات السقم ! »

أشعلت مصباحها ..

واعتدلت «أى شىء عاش .. لم ينهزم ! »

دقة الساعة .. تهوى بيدٍ من حديد .. فوق رأسٍ مفعم
وعواء الريح .. لحن نازف ودموع ساخناتٌ .. ترتمى
وأتت مرآتها ..

فارتسمت كل أبعاد الجبين المعتم
الأخاديد التى فى أرضه خطـــوات الزمن المنتقم
وشفاهٌ .. أجدبت حمرتُها آه .. ماأقسى جفاف البرعم !
وارتخى الصدر .. فما عاد له كبرياء القدر المحتكم !!
ومشت فى مفرق الرأس .. خطى شعراتٍ .. صرخت بالسأم
وبدا الوجه الذى تعـــرفه قطعةٌ من ذكريات الهَرَم
يتحدى صمتها ..

يجلدها

يعصر القلب بكفّى مجرم !

أمسكت أدمعها ..

وانكفأت تتلقى صفعات الألم
هازئاتٍ بستار أسدلت لم يصفق أحد .. لم يرحم
ومكانٍ .. رجعت جدرانهُ قصة الليل .. وروْع الكلم

الثعابين لعابٌ سائل وأغانى النار فى كل فم !!
وعلى الأعين .. طفل جائع كم رجمت كفاه عطف القدم
كل شىء راح .. إلا طعنة .. مُلئت بالملح .. لم تلتئم

ومشى الفجر إلى غرفتها

فعدت تصرخ :

« لا .. لاتقْدم ! »

ومضت تصلح من زينتها فى جنون همجىٍّ .. مؤلم
غير أن الضوء .. أعشى عينها وارتمى فى المخدع المنهزم

ديسمبر ١٩٦٣

شجرة التوت

خضرة الأرض .. والقرى .. والسواقى .. ورمال على المدى .. وسحابه
وجموع من الحمام .. وراعٍ يتغنى .. ونخلتان .. وغابه
وصفير القطار ينداح فى الأفق .. وتجرى خطـــواتُه صخابه ..
لحظات تهز بالقلب فرعاً من صباه ، وتستعيد شبابه
يوم كانت دقاتُه أغنيات وهواه .. تطلعاً وصبابه
والأساطير فى زواياه .. نهر يترامى .. وشاعر ، ورِبابه
ومساء معطـــرٌ بالأمـــانى واشتياق الطفـــولة المنسابه
وحنان يشعّ من عين جدّ غضّن الصبرُ والزمان .. إهابه
فإذا ما أتى الصباح .. انطلقنا صبيةً .. فى الفضاء .. نطوى رحابه
الخليج الملآن كم شدّ عمراً لوّن الحب شمسه وترابه
والفراش الذى سبانا .. فهمْنا خلفه .. فى الحقول .. نجنى سرابه
ودبيب إلى المقابر .. والبوم عيون على الكُوى .. مرتابه
كان شىء .. يشدنا للأعاجيب ، فنعطيه أضلعاً وثابه
ومع العَوْد .. تلتوى خطواتٌ أنضج الصهدجلدها ، وأذابه
فتدور العيون .. تبحث عن قطعة ظل ، وللعيون انتحابه !

«دوحة التوت .. أسرعوا يا رفاقى »
وتهيج الأنفاس .. يعلو صداها
نتبارى على الوصول إليها .. ونغنى إذا بلغنا حماها !
وعلى أرضها الندية .. ترتاح جلابيبُ .. أشربت من ثراها
صبغتها الرياحُ والطين والشمس مراراً .. فغيمتْ مرآها
ويهبّ النسيم فى الأفرع الخضر .. فتمتد بالعطاء .. يداها
وتسوق الأوراق رائحة الخصب .. فتمحو عن القلوب صداها
آه يا ضمة الأمومة .. ما أحنى ذراعاً ، وأضلعاً ، وشفاها
تنحنى فوقنا بعطف كبير تتلقى عطاشنا .. بنداها
والعصافير سقسقات عذاب وغصون .. تياهةٌ فى علاها
وإذا صيحةٌ تدمدم فينـا «أيكم ينتهى .. إلى أعلاها؟»
فتمدّ الأكفّ .. تلتقط الأفرع .. فى دُربة ، وتلوى قواها
«صفقوا يا رفاق للبطل الوثاب ..»
والشمس ترتمى فى مداها
عندها نذكر البيوت .. فنستشعر زحف الدجى .. وصمت رؤاها
آن أنْ تبعد الأصابع فى الليل .. ولكنْ مع الصباح لقاها
من جديد .. يا أفرع التوت تأتى .. غيمةٌ يدفع الحنينُ .. خطاها

***

ذكريات .. تهزنى حين أرنو بخيالى .. إلى الصبا ، وحياتِه

وتزيد الدقات .. ينتفض الصدر .. إذا أيقظ الهـــوى طعناته
ومشى فى العروق لحنٌ مدمٍّ صبغت روعةُ الأسى .. رناته
ما تزال الأصداء فى رحبة الأفق .. ولم يبرح السنا .. شرفاته
وزهور على الطريق .. ونبع يتهادى الموّال فى موجاته . .
وتلوح الظلال من خلل الدمع .. وتنمو الحياة فى حباته
تحت هذى الفروع .. كان لقاء أرعشت نسمة الهوى كلماته
وسكتنا .. فوقع الصمتُ لحنا .. يا حنان الحنان فى نغمـــاته
صعد القلب يومها .. بجناحين من النور .. واحتوى نجماته
ثم أهوى المساء ..

يا شهقة الصدر ، ويا صحوة الهوى من سباته

— الضحى نلتقى ..

— بعيد علينا .. فليكنْ والصباح فى خطواته

— عند شط الخليج ؟ .

— لا .. عند أم منحت مولد الهوى شمعاته ..
اجعليها محرابنا .. إن بعدنا يقصد القلبُ نحوها فى صلاته

***

عدت يا قريتى .. أضم حنينا أبدياً .. إلى ثراك الحنـــونِ
لهفةٌ .. تشرب المدى خفقاتى وألمّ الأشياء ملء جفونى
كل خطوى تحيةٌ لكِ أهديها ، وكل الهوى ، وكل الجنون

التراب الذى تمرّغت فيه والمساء الذى أثار شجونى
والحياة الخضراء .. فى أفرع التوت .. وأوراق ظلها تحتوينى
عدت يا قريتى .. أحدّق فى الناس ، وللناس غربة فى عيونى
ذابت الألفة القديمة فى الأعين .. واهتزت الرؤى فى ظنونى
تساءلت :
أين خيمة أحلامى ، وحبى ، وفرحتى ، ويقينى
فتلاقت عيونهم ، واستدارت همساتٌ .. من الأسى المدفون
«قُطعت فى الشتاء للدفء
ما أقسى انهمار الحليد فوق الجبين !»

فبراير ١٩٦٧

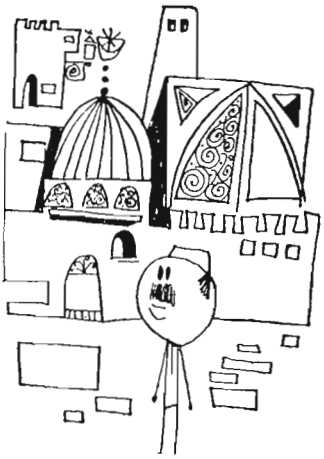

المجموعة الثانية

محمد حماسة عبد اللطيف

حكاية مع الليل (*)

ضمه الليل .. لوعةً ، وعذابا وحنيناً .. مؤرقا .. واغترابا
ويعول الصمتُ في آساه .. وتبكي أمنيات .. تطايرت أسرابا
أظلمت نفسُه كما أظلم الليل .. فراحت كالبحر .. هاجت عبابا
شاطئاه الضلوع .. بالضلوع هدها الموجُ .. ثورة ، واضطرابا
يغتلي بالأسى .. فيرمي شواظا يتراءى على الجبين اكتئابا
فهوَ حيناً .. يمور من وَهج الحزن .. وحيناً يقضّم الأنيابا
« آه يا ليل ! »

زفرةٌ كان يلقيها .. فتسرى إلى الزمان عتابا
ولدى باب خيمةٍ .. قد تداعى يرمق الأفق .. ظلمةً وعذابا
فينوح المجهول في جانبيه .. وينادي فجرُه .. هـيّابا
والظلام العربيد في الأفق .. عاتٍ .. لا يرى فيه من أساه .. شهابا
والفضاء الرهيب .. يعوى حواليه .. ضياعا ، وغربة ، ويبابا
والرياح .. الرياح .. تعبث بالخيمة هُزءاً .. فتنزع الأطنـابا

(*) فازت هذه القصيدة بجائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦٥ .

والصغار الجياع فى داخل الخيمة .. بؤس لم يعرف الجلبابا
فالخريف العريان .. يأكل ما قد قدّمته يدُ الربيع .. سحابا
ضمه الليل هكذا ..

زفرات تملأ الليل .. أنةً وانتحابا
« آه ياليل ! »

قالها .. وتنزت ذكريات .. على الجبين .. ضبابا
غام فيه الأسى .. وأشرق أمسٌ عاش فيه انطلاقةً وشبابا
وتمطى فى صدره الحلم الغافى .. وجلى عن اللهيب .. ترابا
فاشرأبّ الحنين فيه لمغنى .. صبّ فيه الهوى له .. أكوابا
وتوالت أيامه ذكريات تتراءى لناظريه .. سرابا
« ها هنا كان ملعبى .. ورفاقى .. كم شربنا الأيام صفواً مذابا »
« هذه نخلتى .. وتلك كرومى .. آه يا كم سقيتُها .. مطرابا ! »
«وانتظرت الحصاد .. لكنّ ليلى بعثر الأهل فى العراء .. قبابا»
وتلوّى الصغار من قسوة الجوع .. فألقوا على رؤاه .. حجابا
فرأى ليله الأسىّ .. صغاراً يتضاغون .. حسرةً ، واغترابا
وديارا .. قضى الصبا فى مجاليها .. تناديه أن يحث الركابا
« آه ياليل ! »

قالها .. فاستثارت فى حناياه .. ماردا غلاّبا
راح يهوى على الظلام بكفيه .. ويفرى عن الصباح إهابا

يسترد الديار من قبضة البغى .. ويجتاح بالعذاب الذئابا
«ياصباحى المأمول فى ساح دارى .. ياحقول الكروم ضمى الصحابا»
«ياصغارى .. »
سرتْ صراخاً مغيظا .. يعصر الليل .. رهبة وارتيابا
فاكفهر الدجى . ومد يد الغدر فلم تُبق صوته الصخابا !
غير أن الصباح أشرق حلواً دق كل الأبواب بابا فبابا
« يا صغارى
غدا تعيشون يوما ضاحك الوجه »
قالها ثم غابا
واحتواه الشروق .. والدم يجرى دافقاً من حشاه يروى التّرابا
١٩٦٤/١٢/١٨

أغنية لوطنى

يا منبع دفئى الحانى .. يا وطنى
يا صدرا ممتلىء الثديين بأشهى لبنِ
يرضعنى .. يحضننى .. ينضو عنى حزنى
وطنى .. يا فجراً مزق وجه الظلمة
يا قلبا ينبض فى كلمة
كلمة حبّ تهمسها شفتا صب
صب عملاق أسمر
السمرة فيه نضح كفاحٍ مر
أورق منه فى العيدانِ النصر
وطنى ..
يا بيدر أحلام بيضاء انطلقت مع ضوء الفجر
تنشر أجنحة النور .. وتخفق فى شهقة صدر
وطنى .. يا أبراج حمام
تمتد .. تعانق كل غمامات الأيام

تهدى للدنيا مع كل غمامة
ألف حمامة ..

***

وطنى : قلبى .. عرقى .. أغلى ما أملكْ
ماذا — يا وطنى — لو فرشت كفك قلبى مهداً فى ظلكْ
يرتاح عليه من يعصر زَنْديه طعاما من أجلك
ماذا — يا وطنى — لو رشّت عرقى كفُّ الشمس على رملك
لا .. لو دفقته يجرى .. يجرى من حولك
فيض جداولْ
حتى تنبت حبة قمح سبع سنابلْ
تخضرّ .. توشوشها الريح .. تغنى فى الكف مناجلْ
فأرى سنبل كدحى فى الأفواه لقيماتٍ حلوه
يا للنشوه !
عندئذ — يا منبع دفئى الحانى
يا نبض القوة فى وجدانى
يا وطنى — تهدينى أنت الغنوة .

١٤—١١—١٩٦٥

الوجوه الـكثيرة العيون

— ١ —

رأيتهم هناك .. مشدودين .. مسنونى المقلْ
لو ينظرون للزهور فى الربيع .. تشتعلْ
وجوههم كثيرة العيون .. دائما تُطل
تطفىء كل بسمة مضيئة بألفِ ظـل
تخنق كل نظـرة بريئـة إلى أمـلْ
ترجم كل شفةٍ ممـدودة إلى القبـلْ
تجرح كل كلمةٍ دفيئة .. بألف نصـل
ولا تملّ أن تبعثر الدموع .. لا تمـلّ

— ٢ —

عيونهمْ — يا إخوتى — لخاطرى مُدًى .. مُدى
تطعن فى فؤادىَ الأحلام .. تسقيها ردى
تُطير منَ قلبى الحمامَ كلما تهدهـدا
تشدنى إلى التراب ... حيث جففوا الندى

«قابيل» و «الغراب» يحفران فيه مرقدا
ألا ترون شاعراً يموت !
كفنه خيوط عنكبوت !!
يا إخوتى .. ألا تمدون للهوف يدا ؟
أهكذا يختنق النداء دونما صدى ؟ !

— ٣ —

لكنى — برغمهم — أرسلها مضيئة :
لو رقرقوا قلوبهم جداولا مليئة
وحرقوا من كهفها العناكب الخبيئة
لو أرسلوا عيونهم بنظرةٍ بريئة
لو حركوا شفاههم بكلمةٍ دفيئة
لو ضوّأوا وجوههم ببسمةٍ مضيئة
لأنجبتْ عواقر الجذوعْ
وزغردتْ ألسنة الشموعْ
وقُطعت من الظلام كفه المسيئة
وسقطت من الكلام كلمة «الخطيئة»

١٨—٧—١٩٦٥

السيف الآخر

إلى س. م.

هذي الكلمات ..
« إنى أهواكِ .. أحبك
أتمنى .. أن يعرف حبي قلبُك
أستشعر دفء الكلمة .. فى شفتيك
وتهيم أمانيّ وأحلامى .. فى عينيك
ترتاد ظلالا خضراء .. فتغفو فى جفنيك »
.. كلمات فقدت معناها !
لم يبق بها .. غير حروف ترتعش من البرد القارس
تتدثر فى أثواب خداع .. تنسجها عيناك الكاذبتان
كم مزقها سيف الفارسْ !!
ماذا يجدى حد السيف بصخر الزيف ؟!
لكنّ السيف تثلمْ !!
ما عاد لهذا الفارس أن يتكلمْ
أو يتألمْ !!

فالفارس ينضو سيفا آخر
لكنْ .. ليس لأثواب خداعك
ـ أثواب خداعك لن تتمزّق ـ
بل ليشق به ـ في رفق ـ عن قلب .. بكر .. طاهر
يحبو في درب الحب
يتلمّس دفء الكلمات

١٩٦٧-٢-٢٨

رسالة عتاب صـغيرة

إليك – ياحبيبتى – رسالة حروفهـا رقيقة العتابْ
تخطّها إليك من مشاعرى .. ومن دمى .. أصابع العذابْ

***

طيفك – يا حبيبتى – فى خاطرى يفتح للحنين ألف بابْ
فكلّما نظرت فى الكتاب .. تقفزين بين أسطر الكتابْ
تعانقين ناظرىّ .. تشردين بى .. وتهربين للسحـاب
فتجذبيننى لرحلةٍ بعيدة المـدى .. عسـيرة الإيابْ
أظلّ خلف واحة الأحلام .. ظمآن الهـوى وأنت كالسرابْ
أهتف باسمكِ الذى يعود لى صداه وهو مُشرع الحرابْ
يجرح صمت غرفتى . يرجع بى من رحلة الأطياف .. والعبابْ
كموجة ضلّت بها الرياح – يا حبيبتى – فؤادىَ المذابْ
وأنثنى إلى الكتاب بعدها .. فلا أرى به سوى الضّبابْ

***

أخاف أن تطحنى رحى الحنين – ياحبيبتى – بلا حسابْ

فإنها تدور فى جوانحى .. لم تبق غير العظم .. والإهابْ
أخاف أن تشدنى يد العذاب — ياحبيبتى — إلى التّرابْ
وأن يقول بعضهم : « يا حسرتا .. قضى شهيد الحبّ والشبابْ ! »
لا تسألى ..
فأنت وحدك التى مددت لى معاول العذابْ
وليس لى إليك غير كلمة حروفهـا رقيقة العـتاب
« ترفّقى .. ترفّقى »
مازلت فى انتظار نظرةٍ ..
هى الجوابْ !

٢٢—٩—١٩٦٥

أين الكلمة !

العين أمام العين
والكلمة خجلى فى الشفتين
الكلمة — يادنيای — بصدری تتكىء على حرفين
مسنونين
بينهما قلبى عصفور مذبوح يتألمْ
عنياك تقولان : تكلمْ
أو ما تدرين بأن مداد الكلمة دمّ
يا دنياى . .
قلبى محبرة الكلمات
لكنْ .. من لى بقلمْ ؟!

***

مهلاً . مهلا
فى عينيك عتاب أخضر : يا مجنون تكلمْ
أوليس لديك سوى النّظرات ؟ !

وأنا بالكلم أحلم
أبحث عنها فى الشفتين
لكن .. أين الكلمة .. أين ؟
هاتى كفيّك
فالكلمة ذابت فى عينيك !

١٩٦٦-١٢-٢٧

ربما يرجع يوماً .. !

« ربّما يرجـــع يوماً .. ربمـــا »

واختفت فى دمعها المنسكـــبِ

يقطـــر المنديـــل فى راحتهـــا .. قلبها .. يا كم به من لهب

أشعلته كلمة جامحـــة .. قالها فارسها فى غضـــــــــب

« لست لى .. » وارتعشت فى يده « دبلةٌ » .. قيد صغير .. ذهبي

طوّحته كفّه محنقة .. آه يا كف الخريف المجـــــــدب ! !

رنّت الدبلة فى الأرض فما رجّعت غير صدىً مكتئبِ

لم يزل يهتف فى مسمعهـــا :

« كل هذا كذب . فى كذب ! »

« ربما يرجع يوما .. » وغفت فى بقايا حلمها المنسرب

تقرأ الجدران فى غرفتها .. كم بها من شاهدٍ .. لم يغب

« هذه صورتنا .. نحن بها بين ربوات المنى .. فى لعبَ »

« تلك أخـــرى ..

آه يا راحته .. دفئُها .. يا دفئها .. لا تهرب »

وعلى ثالثة .. لم ترها .. صُوّرت من وهمها المضطربِ

رشقتْ عينين ما جفّفتا .. إنّ بالمنديل بعض التعب
إنهّا صورة عرسٍ يزدهى بالهوى الرّيانِ بين الصخـــبِ
ها هنا الأمّ لها زغرودة تشرح القلبَ .. ودعوات الأبِ
والصديقات .. وقد طوّقنها .. أعينٌ غيرى .. وهمسٌ لولبى !
صـــورة تعشق فى أبعادها كل لونٍ .. كلّ لونٍ طربِ
فجأةً .. تدخل من شباكها .. زوبعاتٌ فى جنونِ الغضـــب
تنزع الصورةَ من مأمنها .. وتطـــير الحلْم بين السحب

***

وإذا وقع خطى تعرفهـــا .. أذنهـــا كانت لهـــا فى ســـغبِ
يخطف القلبُ صـــداها خافقـــا .. ناســـيا ما شفّه من تعبِ
أسرعت للبابِ ..
« لوْ .. لوْ دقّه ! .. يا خطاه قريبه .. قرّبى »
« كى أرى من ثقب بابى وجهه .. وشموخاً ضارباً فى الشهب »
« يا إلهى .. إنه يمضى .. أجلْ ! يغلق البابَ بوجهٍ مغضـــبِ »
« كيف يا جارى الذى أحببتُه .. تطأ الذكرى . ولم تستعْتبِ »
« ربّما ترجع يوماً .. ربّما ! »
واختفت فى دمهعـــا المنسكب
يقطر المنديل فى راحتها .. قلبَها ، يا كمْ به من لهـــبِ !!
١١ /١٢/ ١٩٦٥

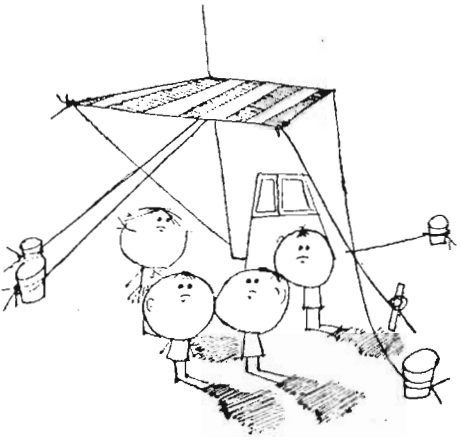

المجموعة الثالثة

أحمد درويش

موعد العاشق الأشل (*)

— ١ —

الليل عاد .. عاد ليل الشـــجنِ .. أكفه تغزل لى فى كفنى .
الليل عاد .. شوكة من طاقةٍ .. بالأمس كانت ثرة بالسوْسن .
الليل عاد .. معول الصمت الذى يهدم فى جنبىّ لا يرحمنى .

***

فليلة الموعد جاءت .. لم تجدْ غير جريح فى إهابى .. مثخن .
غير بقايا مُقْعد .. وحفنةٍ من الدموعِ لم تزلْ فى أعينى .
وحجرة .. جف على حيطانها عتابىَ المرّ لهذا الزمنِ .
المقْعد الحزين .. والأريكة الملقاة فى حضْن الجدار الخشنِ .
ستارة .. قد صلبت أطرافها .. شلّت على شباكنا .. ترمقنى .
وباقة من الزهور .. غاضت ابتسامة من وردها الملوّنِ .
وكومة الأوراق بيضاء .. ! فما خطت بها كفىّ .. حكايا حزنى .
ولوحة على الجدار .. لم تعد أبعادها توحى بغير الشـــجنِ .
البحر .. والضياعُ فى مياهه .. وزورق ضلّ طريق السفنِ .

(*) فازت هذه القصيدة بالجائزة الثانية فى مسابقة الشباب العربى بالمجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦٥ .

وغاب عن ملاحه المنار غاب مرفأ الشاطىء .. لم يستبن ؛
وقصة .. قرأت من كلامها سطرين جامدين .. لم أفتتن ؛
تلوك عينيَ الكلام .. تزدريه .. لم يعدْ كلامها يجذبني
فكلمة الحبّ .. تهيج في دمي بقيـــــة من أمسيَ المكفـــنِ ؛

— ٢ —

حبيبتي .. وكل شيء ها هنا .. ما عاد غير مغزلٍ في كفني ؛
لن يرجع اللقاء .. لن نعود طائرين .. يسحران كلّ فننِ ؛
لن تقفي حبيبتي أمـــام مـــرآتك ساعتين .. كي تزيّني
لنْ ننفق المساء فوق شاطىء النّهر .. وبين خُصُلات السوسنِ ؛
حتى الرسالات . فكفّي عجزتْ .. أن تلمس الأوراق منذ زمنِ ؛
الورق المعطر الأزرق راح .. لم يعد إشعاعه يغمـــــــرني

— ٣ —

حبيبتي .. غداً تجيئين هنا لزورتي .. تجلّدي .. لا تحزني ؛
في لحظةٍ خرساء .. ما أمرّها .. قد جففت من العتاب اللينِ ؛
ستجدين كلّ شيءٍ ها هنا .. ما عاد غير مغزلٍ في كفني ؛
المقعد الحزين .. والأريكة الملقاة .. في حضن الجدار الخشنِ ؛

ونظرة الإشفاق .. حتى نظرة الإشفاق .. يا حبيبتى .. تقتلنى ؟
تقول كلّ ما تتمتم الشفاه . . . . يبعدون وقعه عن أذنى :
« وآسفا .. مسكين .. كان طائراً وشلّ .. ما أقسى صنيع الزمن »

١٠ / ١ / ١٩٦٥

كلمات للزوج الهارب

— ١ —

لحظة من أمسيات مهملة .. سطرت تلك الحروف المثقلة
لحظة من عشك الضارع .. من طفلك المشتاق أن ترجع له
لحظة من ليلنا .. والليل ساعات صمت قاحلات .. عطله
كل ما فى البيت مشتاق إلى دفعة الباب .. إلى أن تدخله
قدماً مجهدة .. أنفاس صدر بالحبات .. وجفونا مسبلة
ضحكة ناعمة الأصداء .. نظرات حنو .. كلمات غزله
كل ما فى البيت .. حتى المخدع الظمآن مشتاق .. وحتى المكحله
وغبار عششت ذراته .. فوق مرآة الجدار المهمله
وبقايا إصبع الزينة .. والعطر .. وليل مجدب قد أغفله
وحكايا عن صبانا .. وحكايا عن أمانى الليالى المقبله
كلها ذابت على بسمتها .. حقلنا هز الصقيع مشتله

— ٢ —

كل يوم عثرت فى شفة الطفل الصغير كلمة : أين أبى ؟

كلمة عفويّة ظامئة .. ترتوى من هيكلى المضطربِ
نسجت كلّ الصباحات لها قصة مغزولة من كذبِ
« ياصغيرى . ذات صبح .. شهد الشاطىء خفقات شراع المركب »
« وأكفّاً ومناديل .. وكلمات وداع من صديق طيّبِ »
« وأغانىّ .. وملاّحاً .. سفيناً يتهادى فوق سطحٍ لجب »
« يا صغيرى .. رحلوا للشاطىء الآخر .. آغراهم بريق الذهبِ »
« جذبتهم خضرة العيدانِ .. لم يرحموا أنّة قلب متْعبِ »
« لم يبالوا حين ساقوا ركبهم .. مطراً رشته كل السحبِ »
« لم يبالوا زفرة الرعد .. ولا قسوة الراحل .. أو دمع الصّبى »

— ٣ —

لاتروّعْ يا صغيرى .. فغداً يأتون فى جَمْعٍ مهيب الموكبِ
الهدايا .. أثقلتْ أذرعهمْ .. ودموع كحلتْ جفْن الأبِ
بَعْض عطر .. وعروس حلوة من هناك .. وحصان خشبى
ويمامات جميلات تهادت فوق ثوبٍ ذهبىٍّ قشبِ
وحكايا من بلاد الله .. يوماً تزرع الأنس بليلٍ مجدب
لاتروّعْ يا صغيرى .. فغداً يأتون فى جمعٍ مهيب الموكب

— ٤ —

زوجى الهارب.. لا تجعل عيونى تغرس الأشواك فى قلب الصّبى «الكراريس» التى أهملتها .. لم تزلْ تشتاق فوق المكتبِ ابنك اللاهى على صفحاتها .. أذنه اشتاقت لإطراء الأب همسة الجيرانِ زادتْ.. وعيونٌ نبلُها لا يُتّقى بالهرب!! عدْ إلى العشّ الذى خلّفت فى ساحه النّار.. وكوم الحطب!

١٩٦٦/١/١

وا أسفا على الذين رحلوا

هذا المساء .. رقّت الأنسام فى سمائه
عريانةً نجومه .. تخبّ فى صفائه ..
أمواجُها .. نهرٌ يعبّ الأفق من ضيائه
وصمته .. صومعة العابد فى خلائه

***

هذا المساء .. صافحتْ كفّى بقايا وَرَقَه
حروفُها تآكلت .. أطرافَها ممزّقه !
عشرون عاماً .. اكسبتها صفرةً مشوّقه
سطورها .. أكوام جهدٍ .. عارمٍ .. محقه

***

« يا ولدى .. »
وفى مرارة تتَابَعُ السطورْ
« إليك فى عاصمة الطغاه .. عامنا عسير ! »

(*) فازت هذه القصيدة بالجائزة الثانية فى مسابقة الشعر لشباب الجامعات بالمجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦٥ .

« لم تبخل التربة – يا بنيّ – خيرُها وفير »
« ولا أنا .. ولا الذين عايشوا الهجير »

***

« أيامنا مرّت .. جباهاً تستحمّ بالعرق »
« وأيدياً .. تعتصر الفأس .. وجهداً يحترق »
« وألف عين .. خلف بذرة وليدة .. تشق »
« نعيش ساعات الرضاع .. كل مافينا حَدَق ! »

***

« أيامنا مرت .. صبيّةً تتوق للحصاد .. »
« للسنبلات .. للحذاء .. ثوبها الميّاد »
« لطرحة .. فما غدت حديثة الميلاد ! »
« أحلامها .. أن يسرع الحصاد والأعياد »

***

« ياما خطت .. فوق الجسور .. غنوةْ مرقّمَه »
« متاعُها .. وزادها .. لقيمةٌ محترقه »
« وقطعةٌ من الإدام فى ثنايا المنْطَقه ؟ »
« وأمل فى الأمسيات الساحرات المشرقه »

***

« أيامنا مرت .. شباباً لم يزل يعدّهـــا »
« تُحصى ثوانيها .. ويُحصى نومها ، وسُهدها »
« فالعرس فى الحصاد .. ألف عشة .. نُشيدها »
« ألف فتاة .. سوف يزدان هنـــاك .. جيدها »

***

« وأشرق المخاض فى السنابـــل المذهّبَـــــةْ »
« هدية .. من السماء للفئوس المتعبـــــة ! »
« لقريةٍ .. ضاقت بهـــا أيام بؤسٍ .. مترِبة »
« لصُبْيةٍ .. لعشّةٍ .. لمسجـد .. لمصطبـة ! »

***

« لكنما مع الحصـــاد .. أقبل الجنـــود .. »
« الورق المزيّف المكتـــوب .. والوعـــود .. »
« مطالب الباشا .. وجـلاّدوه .. والرعـــود »
« وغلّة الحصـــاد .. قصـــةٌ بلا حـــدود .. »

***

« معـــــذرةً يا ولـــدى .. فيدنا قصيرة ! »
« وفى الختام .. قبلة مريرةً .. مـــــريرة »

« تحيـــــــة البيادر الذليـــــــلة الكسيرة »
« وقرية .. مغتصبٍ حصادهـــــا .. فقيرة »

. . .

هـــــذا المساء ..
عدت آدراجى ، وأدراج السنين »
وا أسفا على الذين رحلـــــوا .. مبكّـــرين !
لم يشهـــــوا انطلاقـــة الحصـــاد .. ما عاد سجين
لم يشهدوا ابتسامـــة العـــروس .. والمـــرتقبين

. . .

هـــذا المســـــاء .. رقّت الأنســـام فى سمائه
عريانـــةٌ نجومـــــــه .. تخب فى صـــــفائه
أمواجهـــا .. نهـــر يعبّ الأفـــق من ضـــيائه
وصمتُه .. صومعـــــة العـــابد فى خلائه !

١٩٦٥/٧/٢١

حتى تولد الشمس !! (*)

وراح يطـــوى الظلامُ الوجود .. درباً فدربا
غلالة من سكون كستـــه شرقا وغربـــــــا
وجيش طير .. صموت سربٌ يلاحق سربا
ونسمة من حرير .. تفـــــوح عطرا وحبـــا

***

وخلف أســـوار بيت من البيـــــوت النديّة
ذبالةٌ .. تتداعى .. وشيخةٌ .. وصبيّـــــــه
وموقد .. ودخـــــان .. بقيـــةٌ من بقيّة !
وقصة .. قد روتهـــا العجـــوز .. ذكرى وفيه

***

« صغيرتى ..
كان يهـــوى أبوكِ هـــذا الترابا »
« وكان كالنخـــل طـــولا .. وكالربيـــع شبابا »
« وفى الصلابة فأساً .. وفى النقـــاء سحابـــا »

(*) فازت هذه القصيدة بالميدالية الذهبية فى مسابقة الشعر التى اقامتها محافظة القاهرة سنة ١٩٦٤ .

« وكانت الكفّ مرعى .. وجدولا .. منسابـــا »

***

« يا طالما مدّ كفّاً .. حطت عليها حمامـــــة ! »
« تنقّر القمح نشـــوى .. طروبة .. مستهامـــة »
« وحزمة من حشيش الندى .. وشاةٌ أمامه »
« وطاقة من زهور الربيع .. لفّت قوامه »

***

« وذات يوم .. ضحوك الصباح .. غضّ النسيم »
« فى موكب من شباب الشموس .. ضخم .. وسيم »
« مضى أبوكِ .. وغـــاب القطار خلف الغيـــوم »
« منديله .. كلمات الوداع .. ومِضُ نجوم »

***

« راحوا على النهر .. ياما انحنى له ألف رأس ! ! »
« بالأمس كم قدّسوه .. مضى بما كان أمس ! ! »
« واليوم يزهو على شاطئيه .. موكبُ عرس »
« فى حضن أسوان .. هزّ الوجود .. ميلادُ شمس »

***

« وجاء منه كتاب .. وكنتِ أنتِ .. جنينا .. »
« سطوره .. ما تزال السطور تروى حنينا »
أمى ...

سلام وشوق ..
للأرض قمحاً وطينا
وللربوع اللـواتى .. تضم سرا دفينـــا !

. . .

أمى .. هنا .. فى كتاب الوجـــود .. نصنع شيّا
الصخر .. قُدّ طريقا .. وكان قبلُ عصيّـــا
والنهر .. ما عاد هذا الجمـوح صَلبًـــا عتيـا
غـدا .. نحول هـذا العتو .. خبزا وريا

. . .

غداً .. تصير الصحارى العجـوز فيحاء خضرا
سأزرع التـــل وردًا .. وأزرع السفح بُـــرا
سأعصر الأرض خصبا .. وأعصر الكرم خمرا ..
ويخنق الحدبَ ريحُ الزهـور .. يسكب عطـرا

. . .

أمى .. مع العزم يطوى الصخور ينساب لحنُ ..

حكاية من حكايا الصبا .. جمال .. وفـــن
وشاعـــر راح يشـــدو .. وألف هيمان حنّوا
معاولٌ .. شاركتنـــــا الغنـــاء .. وهْى ترنُ

. . .

« صغيرتى ..

كان هذا الكتاب آخـــر عهـــدِ »
وبعد سبع ليـــــالٍ .. أضاءها شمع سهـــــد »
« قالوا : فتاك احتوتـــه الصخور .. ضَمّة لحد ! »
« وراح .. أوّلَ غازٍ .. شهيد مجد .. وسدّ ! »

١٩٦٤/ ١٠/ ١

أغنية الرحيل

« إلى الذين تركوا النوبة وطنهم .. »
« من أجل أن يزدهر الربيع .. »

رخاوة النسيم .. والمساء .. بسمة القمـــــــرْ
ورفقة .. على وجوههم .. ملامحُ السفـــــــر
أمتعـــة الرحيل .. والوداع .. موكب يمـــرّ ..
يعبر دربـــــه العتيـــق .. نحو شاطىء النهَـــر

. . .

وربما .. فى بعض أعين .. تَراقَصُ الدمـــوع
فموكب الرحيل .. لن يعـــود بعدُ للربـــوع

. . .

وضمّنـــــا السفين . والرفـــــاق هزّهم حنين
عيونهم .. تلتهم الشطئـــان .. كلهم عيـــــــون

نظراتهم .. تعانق الجذوع والغصـــــــون
والبيـــدرَ الكبير .. حيثما الرفـــاق .. يسمرون

. . .

وربما تُرسم فى الشفـــــاه .. كلمتـــــان
وكلمة « الرحيـــل » .. فوق شفـــة الرّبان

. . .

بالله .. يا ربّان .. لا تعجلْ بساعة الرحيـــل
لا تَشْدد الحبـــال .. لا ترسل شراعك الطويل
لاتدفع المجداف فى رمـــال شاطئى الجميـــل
فنظرتى لما تزلْ هناك .. فى وادى النخيـــل

. . .

لا تبعد الوادى .. فياكم ضمّ فى الأسحار صبّا
لا تبعد الوادى .. فقد خلّفتُ فى مغناه .. قلبا

. . .

المعبد القديم كان يشهـــد اللقـــاء ! !
وهيكل الملـــوك .. ياما ضمّنا مســـاء

نكتب فى جدرانه بأحرف الضـــــــــياء
وتلمع الشموع فى الأصابـــــع السمـــــــراء

. . .

وربما نخلس فى المســـــــــاء .. قبلتين
وتشهـــد الدروب عاشقين .. عائـــــــــدين

. .

والعرس .. ياما شـــهد الأعراس وادينا النضـــير
الشاعر النوبىّ .. والأرغـــول .. والدفّ الكبير
مغامرات السندباد فى جزائر العطـــــــــور
ورقصـــات الفتيـــة السمر .. وإشعال البخـــور

. . .

وربمـــا خلف جـــدار ذلك الصبـــاح ..
أقرأ فى عيونهـــا .. الحنين للصبـــاح

. . .

حبيبتى .. وكل بقعـــة هنـــا .. فى أرضنـــا
قد شهدتْ ذات مســـــاء .. بسمات حبنـــا
أعشقها .. أعشـــق كومـــة الثرى فى حينا

والمعبـــد القديم .. والنخيـــل عند المنحنى !

. . .

وشاطىء الجـدول .. والبيدر .. والعرس الكبير
وبسمة الأصيل فى خمائـــل الزهـــور ..

. . .

لكنما .. من أجـــل أن يزدهـــر الربيـــع
من أجـــل آن تبتسم العيـــدان فى الربوع
وفوق دربنـــا الطويـــل .. توقـــد الشمـــوع
ويولـــد الحبّ .. ينير أعين الجميـــع
من أجـــل .. أن يخضوضر الزيتون والكـــروم
ودعتهـــا

تركتها .. مزرعـــةَ النجـــوم !

٢٠-١٢-١٩٦٤

تائه في المدينة

— ١ —

الليل فيلق من الظلام .. زاحف على مسارب المدينـــة
يخنق فى أعينهـــا بقية من النّهار .. رخـــــوة .. دفينة
باهتة الشعاع .. يا رخاوة الأصيل أنتِ .. غنوة حزينة
عينا مريض .. نظرة المسكين صفراء الرؤى قد مازجت أنينه
حقلٌ .. ولا مياه فى عيدانه .. وريح إعصار تهزها .. سخينة
بحرٌ من الرمال واسع الخطى .. أمواجه تزلزل السفينة

. . .

ضارية .. يا رحبة الميدان أنتِ .. مثلما اللباءة السجينة
ضارية .. وهذه الأبواق لاتكف .. عن كلماتها اللعينة :
« من لم تكن فى ساقه مهارة العداء فافقأوا هنا عيونه »
« ومن تخونه الذراع فى المياه .. حق للمياه أن تخونه »

— ٢ —

ضارية .. والليل ضارٍ .. والغريب زائغ الخطى .. مضيّع الطريق

أفتش الوجوه .. كل سحنة تمرّ .. أسأل العيون عن صديق
عيناه زرقة السماء .. شارب كثٌّ .. ووجهه النحاسيّ طليق
قوامه تثاؤب النخيل .. وابتسامة على محياه الرقيقْ
أعرفه من بين ألف .. قسوة أن تهرب القشّة عن عين الغريق
شارعه ! وبيته ! يالعنة البيوت .. كلها كعشّه الأنيق

— ٣ —

يا ضيعة الإنسان فى مدينة الزحام .. ليس للغريب من رفيق
يا قريتى . ما أروع المساءَ .. فوق تربك الطيب .. تربك الشفوق
أسراب حبٍّ عائدات .. موكب من الأوزّ .. صُبية على الطريق
وامرأة مبحوحة الصوت .. تلوح مثلما تلوح صيحة الغريقْ
تسأل أولاد الحلال :

« ولدى مخطط الحلباب ذو رأسٍ حليق »
« انسربت أقدامه مع الرفاق لاعباً .. ولم يعد منذ الشروق »
« يا من يدلنى .. وألف شمعة تضاء فى أروقة البيت العتيق »
كل شفاه قريتى أصابع مومئة تدلّها على الطريق ..
مومئة لعشّه .. « هنا عجوز هدهدته ملء قلبها الشفيق ! »

• • •

يا قريتى .. مكتظة مدينة الزحام رهبة كحجبك السحيقْ
ضاريةٍ .. والليل ضارٍ .. والغريب ضائع الخطى مضيّع الطريق

— ٤ —

القدم المعصوبة العينين كلّت من تتابع الوقـــوف والمسيرْ
قاسية .. يا رحلتي يسلمني للشارع الضرير شارع ضريرْ
بيوتها كأنها مفتوحة الأبواب .. لكنّ ولوجها عسيرْ
عالمها المسحور .. لست أملك الرقى .. ولا خزائماً من البخورْ
شلاّء كفّ أجدبتْ .. عين الغريب مقلة حائرة بدون نورْ

— ٥ —

يا ضيعتي .. لو أن طارق المساء ضمّه مسجد قريتي الصغيرْ
لعانقته كل عينْ .. زاحمت راحته الأكفّ .. في ودّ وفيرْ
باقات حبّ في خطاه .. أوجه تنافست قراه .. قلبهم كبيرْ
وحيرة الغريب في مدينة الزحام .. ملهاة تفرج الكثيرْ
وقدمي المعصوبة العينين كلّت من تتابع الوقوف والمسيرْ
قاسية مدينتي .. يسلمني للشارع الضرير شارع ضريرْ

١٥ /١٢/ ١٩٦٥

عندما غاب القمر ..

نسائم الصيف التى تهيج ذكرياتنا
وقمر يكشف منا جوعنا .. عراءنا
وأفق .. رُصّت على دروبه .. خيامنا
تحتضن الأنات .. والدمع السخين .. والضنى

. . .

نسائم الصيف الجديد
وكلما جاء جديد ..
آهاج ألف أمسيه
الرحبة الواسعة الأطراف فى مشارف الحقول
وقمر يمتصّ من نسائم البحر .. الصفاء
وريح صيف ..
ألبسها من نسجه الضياء
وموجة من الوجوه .. تعبر الدروب فى عجَل !
التربة السوداء .. والآمال .. والنبت المطل

واليوم لم تعبر به نسمة ظلّ
والشوق للصحاب فى العيون
والشوق للمساء .. والسمر
لأغنيات تحت أنسام القمر
والكلمات .. المورقات
تنساب عبر أغنيه
يرسلها الناى الرخىّ .. ساعةً مستأنيه

ياعابر الدرب .. عرج عند مغنانا لا يعرف الليل والسّمار .. أحزانا
مرّ الضحى .. عرقا تنساب دفقتة فى الأرض .. خصبا .. وارساء ، وبنيانا
تجاوبت فى صداه الرحب .. أغنية وشّى بها الفأس والعصفور .. دنيانا
الأرض حلم قرانا .. كلمة برقت فى أعين الصبية الخضراء .. إيمانا
الأرض حلم قرانا .. كلمة صدحت بها بنو تربها شيبا ، وشبانا
أعوادها الخضر تحوى فى أجنّتها آمالنا .. غدنا المأمول .. موتانا !
لو مسّها الريح .. شدنا دون مستها سدا .... أقمنا به الأجساد بنيانا

الليل طال .. يا صحابْ
والسمر امتدّ فعانق السحر
وكاد أن يغيب عن سمائنا القمر
من قبل أن يخيّم الظلام فى الدروب
ولا نرى طريقنا

هيابنا ..

الدرب إيقاع خطى .. ووخزة من النسيم
وكلمة من نغمة الموّال راحت ترتخى
فوق الشفاه .

. . .

« الأرض .. والريح التى تعكر الحياة »
وفجأة .. تمتلىء الدروب بالجنود
أسنة الرماح .. والسيوف .. والخطى الثقيلة
ونفخة الأبواق .. والبنود
ديارنا .. حقولنا ..
والقمر الصغير غاب عن مشارف الأفق
ولم نفق
إلا على صوت حزين
تزفره .. أرضٌ عراء
يهتزّ فى ساحاتها .. نداء

. . .

نسائم الصيـــف .. التى تهيج ذكرياتنـــــــــا
وقمـــــــر .. يكشف منـــــا جوعنـــا .. عراءنا

وأفق .. زصّت على دروبـــــــه .. خيامنـــا
تحتضن الأنات .. والدمـــــع السخين .. والضنى

١٧ /١٢ /١٩٦٦

٢٩٢

الموضوع	الصفحة
الوجوه الكثيرة العيون	٥٠
السيف الآخر	٥٢
رسالة عتاب صغيرة	٥٤
أين الكلمة	٥٦
ربما يرجع يوما	٥٨

المجموعة الثالثة

موعد العاشق الأشل	٦٣
كلمات للزوج الهارب	٦٦
وا أسفا على الذين رحلوا	٦٩
حتى تولد الشمس	٧٣
أغنية الرحيل	٧٧
تائه فى المدينة	٨١
عندما غاب القمر	٨٤

المطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧١/٢٤٠٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحتـــوى

موضوع	صفحة
المقدمة	٣
المجموعة الأولى	
الترحيلـــة	٢١
البقايـــا	٢٥
البحيرة	٢٨
أصل وصورة	٣١
الخطأ	٣٤
تجاعيـــد	٣٥
شجرة التوت	٣٨
المجموعة الثانية	
حكاية مع الليـــل	٤٥
أغنية لوطن	٤٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في